خطبة صلاة الجمعة 4/ 6/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعيه هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة السابعة عشرة في سلسلة عنوانها (**توعية**)، كنا بدأناها قبل رمضان وها نحن نعود إليها اليوم.

أعرض لكم في السلسلة صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.**

عنوان هذه الخطبة جاء من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: «**المُؤمِنُ لا يُلْسَعُ مِنْ جُحْرٍ واحدٍ مرتين**»، وفي رواية «**لا يُلْدَغُ المؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مرتين**».

اللدغ: عض الحية والعقرب، واللدغ بالفم واللسع بالذنب، والجحر بضم الجيم وسكون الحاء الثقب والخرق، ومعنى الحديث أن المؤمن كيّس فطِن حذِر يتبصر عواقب الأمور فلا يُخدَع من المكان نفسه مرة بعد مرة.

قال القاضي عياض: لا يلدغ يروى على وجهين بضم الغين وبكسرها.

ومعناه على ضم الغين الخبر: أي أن المؤمن الممدوح وهو الكيس الحازم الذي لا يُستغفل فيُخدَع مرة بعد أخرى ولا يَفطن لذلك، أو أنه خبر ومعناه أمر أي ليكن المؤمن حازماً حذراً لا يؤتى من ناحية الغفلة فيُخدَع مرة بعد أخرى وقد يكون ذلك في أمر الدين أو الدنيا.

ومعناه على كسر الغين: النهي أن يؤتى المؤمن من جهة الغفلة.

وسبب ورود الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أسر أبا عزة الجمحي الشاعر يوم بدر فعاهده ألا يحرض عليه ولا يهجوه فمنَّ عليه صلى الله عليه وأطلقه، فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، وخرج يقاتل المسلمين يوم أحد فأسره المسلمون ولم يأسروا يومها أحداً سواه، قال: يا محمد، امنن علي لأجل ألا تضيع بناتي، وأعاهد ألا أقاتلك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أدعك تمسح عارضيك بمكة وتقول: خدعت محمداً مرتين، لا يلدغُ المؤمن من جحر مرتين ثم أمر به فقُتِل.

أيها الإخوة:

يدل الحديث على أنه ينبغي لمن ناله الضرر من جهة أن يتجنبها لئلا يقع فيها ثانية، ويدل على التحذير من الغفلة والدعوة إلى استعمال الفطنة، وفي الحديث دعوة المؤمنين إلى الحذر مما يخافون سوء عاقبته.

بين يدي أربعة أمثلة واقعية كانت نجاة أصحابها وسلامتهم في العمل بهذا الحديث:

المثال الأول: أوقعه في شَرَك المخدرات مرة بعد مرة:

نشأ زيد في أسرة خير وصلاح ودرج في مدارس التربية وحلق القرآن، اجتمع حوله ثلاثة من أصحاب الهوى ورفاق المعصية فجروه شيئاً فشيئاً إلى حيث هم، بدأ بسهرات الهوى وانتهى بالمخدرات يشمها ويحقن نفسه بها، وبين هذا وهذا امتدت يده إلى المال الحرام وسعى بقدمه إلى مجالس المجون، وأغلقت دائرة الإدمان الحلقة على عنقه وذاق وذاق أهله معه الأَمَرَّين من سوء السمعة وسوء الفعال.

مضى مع أهله ليتعالج من هذا الإدمان القاتل وأنفق أهله على ضيق ذات يدهم ما يجدون بل أكثر؛ لمساعدته بالخروج من هذا الكرب العظيم، وبجهد جهيد ووجع شديد ونفقات علاج باهظة، أكرمه الله بالتعافي ليترك ما كان عليه من الشرور والآثام ويعود صحيحاً معافى إلى أهله وعمله.

بعد ستة أشهر من تعافيه عاد لتعاطي المخدرات ليعيد نفسه وأسرته إلى المربع الأول، ويمضي نحو شر مستطير ينتظره، ولما سئل عن سبب عودته قال:

إنه لقي أصحاب المخدرات في الطريق فدعوه لسهرة يلعبون فيها الشدة ويسمرون، ولما أخبرهم بتعافيه من المخدرات هنؤوه ووعدوه أنهم لن يتعاطوا مخدرا في هذه السهرة إكراماً له.

فصدقهم المسكين ليمضي معهم ويتفاجأ بتعاطيهم المخدر في أثناء لعبهم، الأمر الذي أعاد إلى ذاكرته ذكرياته القديمة فطلب منهم نصيباً وعاد إلى ما كان عليه.

تمادى أمر المخدرات بزيد ليتحول من متعاطٍ إلى تاجر، ثم يسجن سنوات ثم يخرج، ثم يجده أهله مقتولاً بجرعة زائدة.

لو اكتفى هذا الشاب باللدغة الأولى التي جاءته من أصحاب السوء ورفاق المعصية لسلم وغنم، ولكنه لم يتفطن لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»**.

سئل الإمام أحمد عَنْ معنى هذا الحديث فقَالَ: إن يقع مرة فِي ذنب لا يعود فيه.

المثال الثاني: خانه في ماله مرة بعد مرة:

تعرف عمرو على رجل يعمل في التجارة العامة على ما أخبره، فحيناً يتاجر بالزيوت وحيناً بالأقمشة وحيناً بالجلود وأخرى بالأدوات الكهربائية.

في جلسة سارة علم هذا الرجل أن عمرواً ورث عشرة ملايين ليرة من والده، فقدّم له عرضاً ليشترك معه في تجارة الجلود ووعده أنه سيربح 50% من المبلغ الذي سيضارب له به خلال ثلاثة أشهر على الأكثر.

أعطى عمرو الرجل خمسة ملايين ليضارب له بها في الجلود منتظراً ربحه الموعود خلال ثلاثة أشهر، ولا زال الرجل يطمئنه بأن الصفقة جيدة وأن الزبائن حاضرة وأن البضاعة مطلوبة وأن الشحن قائم، ولكنه لم يؤد له الربح بعد ثلاثة أشهر مدعياً أن البضاعة بيعت وأن التجار يطلبون زيادة وأنه وضع الثمن في صفقة جديدة أكبر، وأنه لو ضاعف رأس المال بخمسة ملايين جديدة فإن صاحب الحظ السعيد سيربح 75% بدل الخمسين، وأنه يضن بمنافع الصفقة الجديدة أن تكون لغير عمرو، وأن عمرواً شريكه المحبوب وهو أولى الناس بذلك إن رغب.

فأعطى عمرو المسكين ذاك الرجل الخمسة ملايين الثانية ومضت الأشهر الثلاثة وثلاثة أخرى وثلاثة ثالثة ولازال عمرو ينتظر أرباحه الموهومة منذ أربع سنين. وكأنه لم يتعلم من اللدغة الأولى ولم يتفطن لها، وكان المتوقع منه أن يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**».

المثال الثالث: أساء الأمانة وأراد العود:

قام موظف جمع الاشتراك لإحدى المجلات الدورية، بجمع اشتراكات عدد لا بأس به من المشتركين، ثم مضى به وانقطع خبره عن المجلة، فناشدته الإدارة في صحائف المجلة، فخاف الفضيحة بأكل مبلغ رآه قليلاً فحضر، وقال: إنني اضطررت إلى إنفاق المبلغ الذي جمعته، وإذا أبقيتموني في العمل أعوضه في وقت قريب!

ولكن إدارة المجلة كانت على تفطن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين**»، فأوقفته عن العمل حتى يُحضر المبلغ، فما كان منه إلا أنه اختفى عن الأنظار.

المثال الرابع: سيدنا عمرو بن العاص لن يعود لمثلها:

جاء في كتاب الأذكياء لابن الجوزي: لما فتح عمرو بن العاص قيساريّة المدينة الفلسطينية الواقعة جنوب حيفا سار حتى نزل غزّة، فبعث إليه علجها: أن ابعث إليّ رجلا من أصحابك أكلّمه.

ففكّر عمرو وقال: ما لهذا أحد غيري. قال: فخرج حتى دخل على العلج فكلمه فسمع كلاماً لم يسمع قطّ مثله.

فقال العلج: حدّثني، هل في أصحابك أحد مثلك؟ قال لا تسأل عن هذا، إني هيّن عليهم إذ بعثوا بي إليك وعرّضوني لما عرّضوني له، ولا يدرون ما تصنع بي.

قال: فأمر له بجائزة وكسوة، وبعث إلى البواب: إذا مر بك فاضرب عنقه وخذ ما معه.

فخرج من عنده فمرّ برجل من نصارى غسّان فعرفه؛ فقال: يا عمرو قد أحسنت الدخول فأحسن الخروج. ففطن عمرو لما أراده، فرجع. فقال له الملك: ما ردّك إلينا؟ قال: نظرت فيما أعطيتني فلم أجد ذلك يسع بني عمي، فأردت أن آتيك بعشرة منهم تعطيهم هذه العطية، فيكون معروفك عند عشرة خيراً من أن يكون عند واحد.

فقال: صدقت. أعجل بهم. وبعث إلى البواب أن خلّ سبيله. فخرج عمرو وهو يلتفت، حتى إذا أمن قال: لا عدت لمثلها أبداً. إذ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين.

فلما صالحه عمرو ودخل عليه العلج قال له: أنت هو؟ قال: نعم، على ما كان من غدرك.

أيها الإخوة:

المؤمن كيس حذر، والاحتراس من الناس في أثناء التعامل معهم مطلوب، وصحيح أن المؤمن لا يَخدع أحدا ولكنْ على الطرف المقابل لا يستطيع أحد أن يخدعه.

أخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان عمرُ رضي الله تعالى عنه أَحْزمَ من أن يُخْدَع، قد أعدَّ للأُمور أقرانَها، وكان يقول: لستُ بخَبٍّ والخَبُّ لا يَخدَعُني. الخب الخداع.

والحمد لله رب العالمين